أبعد من الحَرَم الجامعيّ:
الجامعة الأميركيّة في بيروت تُشرك مجتمعها المحلي*

سينتيا مينتي[1]
رامي زريق[2]
منير مبسوط[3]

ملخص

لا تزال الجامعة الأميركية في بيروت، وهي مؤسسة خاصة للتعليم العالي تأسست في بيروت في 1866، تتبنى رسالة المسؤولية الاجتماعية. ففي أوقات السلام كما في فترات الصراع، مد الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت يد العون إلى المجتمع المحلي عن طريق مؤسسات قائمة ونوادٍ ومخيمات عمل صيفية، وغيرها من الجهود التطوعية.

تعرض هذه الورقة تجربة الجامعة الأميركية في بيروت في ثلاثة أجزاء. يقدم الجزء الأول لمحة تاريخية عن مشاركة الجامعة الأميركية في بيروت في المجتمع المحلي باستخدام مزيج من المواد الأرشيفية، ومقالات وكتب منشورة، كما عن طريق الروايات حول الانخراط المباشر.ويحلل الجزء الثاني صعوبات المشاركة المجتمعية في سياق جامعي. فرغم أن تقييم أعضاء هيئة التدريس يشمل الخدمة المجتمعية، نادراً ما يؤثر هذا العامل على الترقيات وتجديد العقود. ويعرض الجزء الثالث دراسات حالة لثلاث مبادرات جديدة في الجامعة الأميركية في بيروت تؤكد من جديد التزام الجامعة بالخدمة المجتمعية: مركز الالتزام المدني وخدمة المجتمع؛ مبادرة تحقيق تقدم في

---

* مترجم عن الإنكليزية.

[1] المسؤولة عن مشروع مبادرة الجوار، في مكتب رئيس الجامعة الأميركيّة في بيروت (حائزة ماجستير في الهندسة المعماريّة من جامعة يال Yale في العام 2004؛ وحائزة دكتوراه في الأنتروبولوجيا الاجتماعيّة من كليّة لندن لعلم الاقتصاد في العام 1983؛ وماجستير في الصحة العامة من جامعة جون هوبكينز في العام 1986؛ وماجستير في الأنتروبولوجيا، من الجامعة الأميركيّة في بيروت، في العام 1974) cmyntti@aub.edu.lb

[2] أستاذ والعميد في كليّة الزراعة وعلوم الأغذية في الجامعة الأميركيّة في بيروت (حائز دكتواره في النبات والتربة من جامعة أوكسفورد في العام 1989؛ وماجستير في الريّ من الجامعة الأميركيّة في بيروت في العام 1983) rzurayk@aub.edu.lb

[3] أستاذ في كليّة الهندسة المدنية والمعماريّة، ومدير مركز الالتزام المدني وخدمة المجتمع في الجامعة الأميركيّة في بيروت (حائز دكتوراه في الهندسة المدنيّة من جامعة تكساس في أوستين في العام 1991، وماجستير في الهندسة المدنيّة من جامعة هيوستن في العام 1987) mounir@aub.edu.lb

البحث، وتمكين المجتمعات المحلية؛ ومبادرة الجوار. وتختتم الورقة بالتفكير في التغييرات المؤسسية اللازمة في الجامعة الأميركية في بيروت لتمكين هذه البرامج الفتية من الازدهار.

«...الخريجون هم أفراد ملتزمون بالتفكير المبدع، التعليم المستمر والمسؤولية الاجتماعية والقيادة.» (من رسالة الجامعة)

«يجب على جميع الوحدات الأكاديمية وبعض الوحدات الإدارية أن تعمل على بناء مهامها على أساس الالتزام بطرق تخدم المجتمعات التي تعيش فيها. ليس كافيًا توفير التعليم الجيد للطلاب ، وإنما علينا بالإضافة إلى ذلك أن نسأل أنفسنا عن كيفية خدمة مجتمعنا. ستكون الإجابة أسهل لدى بعض الوحدات ولكن على الجميع أن يتساءل.»

(من خطاب رئيس الجامعة، جون واتربري عام 2004، والذي ذكر فيه أن خدمة المجتمع هي من أهداف الجامعة الأمريكية العشرة الاستراتيجية).

أوّلاً: المقدّمة

تتواجد مؤسسات التعليم العالي لتُعِدَّ الشبّان والشابّات لحياة نافعة ومنتجة. ويهدف بعضها إلى أكثر من ذلك: إلى إنتاج جيل جديد من المفكّرين والقادة الذين سيساهمون بشكل هام خلال حياتهم المهنيّة في تطوير بلدانهم، وفي إنتاج أبحاث من شأنها أن توسّع عالم ما هو معروف. وتؤدّي مؤسسات التعليم العالي من خلال هذه الأعمال مسؤوليّتها الاجتماعيّة. وتستخدم هذه الورقة تعريفًا أوسع للمسؤوليّة الاجتماعيّة، تعريفًا يُدمِج مفهوم الخدمة، والعمل بوضوح من أجل الخير العام، والتواصل مع الأشخاص والمكان الذي نعيش ونعمل فيه. وإنّ المفهوم الأوسع للمسؤوليّة الاجتماعيّة هو أساس لثلاث مبادرات جديدة في الجامعة الأميركيّة في بيروت.

- مركز الالتزام المدنيّ وخدمة المجتمع، ومقرّه في مكتب المنسق الأكاديمي، تمّ تأسيسه في ربيع العام 2008. ويهدف إلى تطوير ثقافة الخدمة والقيادة المدنيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت.
- المركز الزراعيّ للبحث والتعليم (AREC)، الذي تمّ تأسيسه في العام 1953 كمزرعة الجامعة. وفي العام 2008، قرّرت كليّة الزراعة وعلوم الأغذية في الجامعة أن تقوّي التزامها بسُبُل العيش الريفيّة المستدامة وأن تُعَمِّقَه، وفي الوقت نفسه أن تمتدّ خارج الجامعة كلّها لتخلق لها حَرَمًا في البقاع. إنّ مهمّة هذا المركز حاليًّا تتجسّد في القراءة الجديدة للمُختَصَر (AREC): رفع مستوى البحث، وتمكين المجتمعات.
- مبادرة حسن الجوار، ومقرّها في مكتب الرئيس، تمّ إطلاقها رسميًّا في خريف العام 2007. وتهدف المبادرة إلى ربط هيئة أساتذة الجامعة والطلاّب وهيئة الموظّفين بمنطقة بيروت المحيطة مباشرةً بالجامعة من خلال التواصل المستمر خارج الجامعة، والبحث المُرَكَّز على المشاكل ذات الأولويّة التي تواجه الجوار، والشراكات لحماية التنوّع الأسطوريّ للمكان.

وتسلّط الورقة الضوء على التحدّيّات التي يجب أن تتمّ معالجتها بغية تمكين هذه المبادرات الفتيّة الثلاث من التطوّر لأقصى حدود طاقتها.

ثانيًا: تاريخ الالتزام في الجامعة الأميركيّة في بيروت

كان واجب الخدمة الاجتماعية موضوعًا مطروحا باستمرار في تاريخ الجامعة الأميركيّة في بيروت[4] منذ تأسيسها في بيروت في العام 1866. غير أنّ مناهج الخدمة الاجتماعيّة ليست ثابتة؛ فهي تتغيّر مع الوقت، وفي حالة الجامعة الأميركيّة في بيروت، تعكس السياقات التاريخيّة التي تجمع بين التيارات الاقتصاديّة والسياسيّة والفكريّة السائدة، ومتطلّبات الحرب والنزاع في أكثر الأحيان.

كان مؤسّسو الجامعة الأميركيّة في بيروت يحملون طموحات كبيرة لخرّيجيهم. وأوجز بيانٌ رسميّ مطبوع صدر في العام 1863 الأساس الإيديولوجيّ للجامعة الجديدة وأورد من بين أهدافها: الوفاء بالحاجات التعليميّة في البلد، وتشجيع مصالحه الصناعيّة، وتطوير موارده، ولخرّيجيها، شغل مواقع في السلطة (Munro, 1977, p. 14-15). وبالفعل، في العام 1864، أعطى الأتراك العثمانيّون لبنان المزيد من الاستقلاليّة، وكان لبنان بحاجة إلى قادة أكفاء. وسعى مؤسّسو الجامعة الأميركيّة في بيروت إلى تدريب هؤلاء القادة، وتزويدهم بتعليم جمع بين المُثُل المسيحيّة ومبادى التعليم الغربيّ الحديث. وكان هدفهم تنشئة «رجال نزيهين وأذكياء وشجعان، ومتحرّرين في وجهات الرأي، ومكرَّسين أنفسهم لمصالح بلدهم الحقيقيّة» (Penrose, 1941, p. 4).

وغرس مؤسّسو الجامعة الأميركيّة في بيروت لدى طلاّبهم أيضًا موقفا خاصا: واجب خدمة شعبهم. وكان مفهوم الخدمة متجذّرًا بعمق في الإيمان الدينيّ لمؤسّسي الجامعة، وهم مبشّرون إنجيليّون قادمون من إنكلترّا الجديدة. وكان قد ذكر مؤسّس الجامعة الأميركيّة في بيروت وأوّل رئيس لها، دانيال بليس Daniel Bliss، في خطابه الذي وجّهه إلى الخرّيجين في حفل تخرّج أُقِيمَ بتاريخ 8 تموز/يوليو 1894 والذي يحمل عنوان «عروش الخدمة» مبدأ الخدمة كقانون حياة، وكمبدأ يعبر الكون الأخلاقيّ والروحيّ (Rugh, 1956, p. 16).

وبنبرة نموذجيّة لتلك الفترة الزمنيّة، حذّر الموقّر بليس Bliss طلاّبه لاحقًا (Rugh, 1956, p. 24) قائلا:

> «جئتم إلى الكليّة لكي توسّعوا رؤيتكم للعالم، ورؤيتكم الحياة وواجباتكم فيها، ولكي تصبحوا أقوى وأكثر قدرةً على مساعدة البشريّة وصونها. فإذا كنتم تريدون خدمة أمثالكم في البشريّة أكثر فأكثر، ستكون دراستكم بركة للعالم، وسيفرح مؤسّسو الكليّة وأساتذتها بمجيئكم إلينا. لكن إذا لم تكونوا تريدون خدمة شعبكم وما زلتم لا تريدون ذلك، أرجو الله لو أنّكم لم تدخلوا هذه الكليّة إطلاقًا!»

كان للخدمة في سنيّ الجامعة الأولى معانٍ إضافيّة مسيحيّة بوضوح. ومع أنّ الكليّة كانت منفصلة عن الإرساليّة مؤسّساتيًّا، فقد كانت الجامعة لا تزال مُكَلَّفة في أيّامها الأولى بهدي الأشخاص إلى الإيمان وبتدريب «رجال دين قوميّين نشيطين». وبما أنّ الجامعة لم تنجح في أيّ من المهمّتين، فقد أعاد المؤسِّسون صياغة إرساليّتهم بشكل أوسع لتشمل مقاربة في التعليم علمانيّة وعلميّة بدرجة أكبر (Makdisi, 1997, p. 707- 711; Khalaf, 2001, p. 44). وتضمّنت القِيَم المؤسّساتيّة: حريّة الضمير والدِّين، والتسامح، وخدمة الشعب (Crawford, 1927, p. 192 -195 ; Munro, 1977, p. 15). ولا ينبغي رؤية الخدمة

[4] تمّ تأسيسها باسم الكليّة السوريّة الإنجيليّة. وتغيّر اسمها في العام 1920 إلى الجامعة الأميركيّة في بيروت. أنظر: (Penrose, 1941, p. 171).

كتكتيك منفعيّ جافٍ لهداية الناس إلى الدِّين، بل كوجهة نظر إنسانيّة نابعة من إيمان المؤسّسين.
وتظهر بوضوح الغايات الإنسانيّة لدى مجتمع الجامعة الأميركيّة الأول مع بداية التعليم الطبّيّ وفي الخدمات التي يقدمها خارج الجامعة. فقد تمّ تأسيس المدرسة الطبيّة في العام 1867، بعد مرور عام على إلتحاق الطلاّب الأوائل بالجامعة، وتخرّج الصف الأوّل من الأطبّاء في العام 1871. وقد لعب الطلاّب والأساتذة أدوارًا كبيرة في تأمين العناية بالأمومة في الجوار الفقير من بيروت، بما في ذلك أحدها المأهول بلاجئين أرمن، والمستشفى اللبنانيّ للأمراض العقليّة في العصفوريّة، ومصحّ السلّ في الشبانيّة، من بين أمور أخرى (Khairallah, 1939, p. 461- 463).
وتطوّرت منظمات ونشاطات أخرى للإنعاش الإجتماعيّ، كلّها ضمن إطار الإيمان المسيحيّ. وكما أعلن الرئيس بايارد دودج Bayard Dodge في خطابه الافتتاحيّ (Penrose, 1941, p. 292):

«... ليس الدِّين الهدف الأقصى للتعليم... بل هو مسألة أساسيّة بدرجة أكبر؛ إنّه الوعي والقدرة الروحيّة التي تسيطر على الحياة وتسعى إلى الخير. وليس الدِّين للمصلّى وحده، لكن يمكن أن نجده في روح الدراسة النزيهة، والروح الرياضيّة الجيّدة، وفي تكريس رفاه الجنس البشريّ.»

من منظّمات الإنعاش الاجتماعي هناك واحدة، هي جمعيّة الشبّان المسيحيّين (YMCA)، أصبحت المنظمة الطلاّبيّة الأكبر والأوسع نفوذًا في حَرَم الجامعة قبل الحرب العالميّة الأولى (Penrose, 1941, p. 50- 51). وجمعت الجمعيّة مساهمات خيريّة من الهيئة الطلاّبيّة، وجمعت بين الخدمات الدينيّة والاجتماعيّة. وتركز نشاطها بشكل خاصّ في رأس بيروت[5].
وقد جاءت الحرب العالميّة الأولى بصعوبات جمّة للمواطنين في لبنان وسوريا وفلسطين، واستجابت الجامعة الأميركيّة في بيروت للمسؤوليّة. وبحلول صيف العام 1916، كان ضغط الحرب حادًّا. وكان الاقتصاد الريفيّ مُثقلاً في لبنان وعمّت المجاعة والمرض. أدارت الجامعة مطاعم الفقراء في قريتي عبيه وسوق الغرب، نشط طلاّب الطبّ هناك في تأمين العناية الصحيّة[6]. وطوال الحرب، شدّد قادة الجامعة الأميركيّة في بيروت على استقلاليّة الجامعة عن الحكومة الأميركيّة التي كانت قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بتركيا، وبرهنت عن حيادها عبر إقامتها خيم استشفاء لمعالجة الجنود المُصابين. وقد أثار إعجاب الوالي التركيّ آنذاك، جمال باشا، أن يكون خرّيجو المدرسة الطبيّة الأميركيّة الوحيدين المستعدّين لخدمة أجنحة التيفوس typhus ومراكز الإسعاف في الصفوف الأماميّة من المعارك (Penrose 1941, 161; Munro 1977, p. 66). وأدّت أعمال الإغاثة في زمن الحرب إلى إقامة علاقات ودّيّة أخرى: تصف قصّة من تلك الحقبة طالما رددها البعض التحوّلَ في موقف مفتي بيروت. فقبل الحرب كان المفتي مرتابًا مِمّا اعتبره مؤسسة تبشيرية ذات سمة مسيحيّة غالبة، لكن عندما لاحظ العمل الجسديّ المضني الذي قام به الأطبّاء والممرّضات وطلاّب الطبّ في تنظيمهم أعمال الإغاثة، عرّج لاحقًا على الرئيس هوارد بليس Howard Bliss، ابن دانيال Daniel، ليعلن له أنّه «منذ الآن فصاعدًا سيكون أفضل أصدقائه» (Dodge, 1958, p. 40).

[5] AUB Archives (Jafet Library) Student Life and Activities 1896. AA4.3. 1896 Minutes of the YMCA of the Syrian Protestant College. AA4.3 1903- 1915. Circular.
[6] AUB Archives (Jafet Library) Howard Bliss Collection 1902 -1920. AA2.3.2 Report of the ʻAbeih and Suk el-Gharb soup kitchens.

استمرّت أعمال الخدمة الاجتماعيّة بعد الحرب. وقدّم بايارد دودج الذي شغل منصب رئاسة الجامعة من العام 1923 إلى العام 1948، في مقال حمل عنوان «عمل الجامعة والحياة الاجتماعية»، أمثلة متعدّدة عن هذه الخدمة: أعادت الجامعة الأميركيّة في بيروت إعمار مبنى قديم في رأس بيروت ليُستخدَم كمدرسة ابتدائيّة تجريبيّة وكمركز للخدمة الإجتماعيّة يقدّم دروسًا ليليّة، واجتماعات مسائيّة، ونشاطات لصبيان الجوار. وبدأ أساتذة كليّة طبّ الأسنان وطلاّبها حَمْلة «الأسنان النظيفة». وعمل أساتذة كليّة الطبّ مع الحكومة المحليّة على اجتثاث البعوض من رأس بيروت بسبب استيطان مرض الملاريا. ولتلخيص الموقف السائد، يذكر رئيس الجامعة (Dodge, 1927, p. 262 - 264):

«ستتسبّب الجامعة بالضرر أكثر مما تعود بالخير إذا ما أقصت الرجال والنساء عن خدمة مجتمعهم، عن طريق تزويدهم بمظهر خادع للثقافة، وإرباك عقولهم بالنظريّات أكثر ممّا ينبغي.»

وأضاف قائلاً:

«... إنّ أعظم المفكّرين في العالم لا يخجلون من شغل أنفسهم بأمور عاديّة ... فالتعليم ليس محدودًا بقاعة التدريس أو المختبر، لأنّ القرية الريفيّة، وحيّ الفقراء في المدينة، والسوق، والمصنع تُستخدَم لتبيان قضايا ذات قيمة فكريّة.»

وفي العشرينات من القرن الماضي، تحوّلت جمعيّة الشبّان المسيحيّين بوضوح إلى منظمة بين الأديان تجمع الأساتذة والطلاّب وتُدعى أخويّة الوست هول، حيثُ

«بوسع رجال من ديانات مختلفة أن يعملوا معًا لخيرهم المشترك وللنهوض بشعبهم، بروح من التعاون تكون ودّيّة ونابعة من القلب وقائمة على الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة.»

وشدّد شعار أخويّة الوست هول على أرضيّة مشتركة: «إنّ العالم الذي نتشارك فيه هو أوسع بكثير من العالم الذي نختلف فيه.» ونظّمت الأخويّة نشاطات من بينها مدرسة ليليّة لصغار الموظّفين في الجامعة، وقدمت معلّمي لغات لمدرسة رأس بيروت، وألعاب كرة الطائرة في المدرسة الإسلاميّة للبنين، وزيارات لأجنحة المستشفى، و«انتدابات» لمساعدة المدارس في طرابلس والشويفات وعاليه والشوير والنبطيّة، فضلاً عن حمص وحماه وحلب ودمشق. وتظهر أسماء مثل هاري دورمان Harry Dorman وقسطنطين زريق في المواقع القياديّة في أخويّة وست هول في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي[7].

خلال السنوات الستّين الأولى للجامعة الأميركيّة في بيروت، أي من ستّينات القرن التاسع عشر إلى عشرينات القرن الماضي، كان كلّ من الأساتذة والطلاّب يقومون بخدمة المجتمع تحت راية الدِّين. وبحلول الثلاثينات من القرن الماضي، باتت الخدمة تشدّد على أمور أخرى: كان الطلاّب والأساتذة

[7] يتضمن كتيب صدر عن أخوية وست هول في الثلاثينات من القرن الماضي توضيحات بشأن أسلوب عملها: لا تتنافس الأخويّة مع مجتمعات طلاّبيّة أخرى في الجامعة الأميركيّة في بيروت (كالعروة الوثقى) بل هي في خدمتهم. ويتساوى الأساتذة والطلاّب في الأخويّة. الأخويّة هي مؤسسة بين الأديان وليست مؤسسة لادينية. وهي لا تروّج للدوليّة بل تشجّع القوميّة «الحقيقيّة». ويمكن للطلاّب القدامى أن يكونوا أيضًا أعضاء فيها. أنظر: The 1921-1935-AUB Archives (Jafet Library) Student Life and Activities. AA:4.3 Brotherhood. AA:4.3 Brotherhood Meetings 1930s. See also: (Avery, 1927, p. 265-266; Tannous, 2004, p. 118 - 119).

في الجامعة الأميركيّة في بيروت، من خلال عملهم التطوّعيّ اللاصفّيّ بصورة غالبة، يأتون بالحداثة للمناطق المتخلفة وللناس فيها. وتحوّل الانتباه إلى التنمية الريفيّة والتحديث الزراعيّ.

وفي العام 1930، قامت مؤسسة الشرق الأدنى، وهي مؤسسة خيريّة أسّسها في نيويورك آل دودج Dodge الذين كانوا مُحسنين وقادة الجامعة منذ بدايتها، بتمويل تأسيس معهد الحياة الريفيّة. واشتغل المعهد كبرنامج زراعيّ موجه للخارج، يعمل مع عائلات المزارعين لتحسين إنتاج الغلال والعناية بالحيوانات الداجنة. كما نظّم التعليم الزراعيّ في المدارس، وبرامج ترفيه للأطفال، وتعاونيّات المزارعين[8]. بدأ طلاّب الجامعة الأميركيّة في بيروت بالمشاركة في برامج المعهد كمتطوّعين خلال عطل نهاية الأسبوع والفُرَص، وفي النهاية تطوّر هذا العمل إلى خدمة الإنعاش القرويّ.

وعكست خدمة الإنعاش القرويّ تعاظم المشاعر الوطنية وواجب الطلاّب بالمساهمة في التنمية القومية[9] ويذكّر تقريرٌ نُشِرَ في العام 1935 طالبَ الجامعة الأميركيّة في بيروت بأنّه (Munro, 1977, p. 87):

> ... «بقبوله بامتياز التعليم يتحمّل مسؤوليّات مضافة. فهو واقع تحت دَين لا يسعه الانعتاق منه إلاّ باستخدام المعرفة والخبرة اللتين كسبهما في حلّ مشاكل المجتمع الذي أرسله ليتعلّم، سواء كان المدينة أم الريف.»

وإذ ساور إدارة الجامعة الأميركيّة في بيروت القلق بشأن الاضطراب السياسيّ الذي رافق صعود النزعة القومية، رأت أنّ الخدمة هي قناة ملائمة لتحويل الطموحات القومية إلى نشاط إنتاجيّ، مُخضِعةً الطلاّب للعمل التطوعي في كلّ نواحي الحياة الريفيّة: العمل بالزراعة، والمياه وتعزيز الصحة العامة، والنظافة، واقتصاد الأسَر، ومساعدة اللاجئين، ومحو الأميّة (Dodge, 1958, p. 65 - 68; Munro, 1977, p. 86- 87; Penrose, 1941, p. 271).

وتطوّرت خدمة الإنعاش القرويّ بدورها إلى رابطة الإنعاش القوميّ[10]، وحظيت بتفويض أشمل لتعمل على مدار السنة في بيروت ومحيطها أيضًا.

ودفعت الحربُ العالميّة الثانية بالجامعة الأميركيّة في بيروت مجدّدًا إلى نطاق أعمال الإغاثة. وبحلول العام 1941، كان حرم الجامعة قد صار ملجأ للجنود الفرنسيّين والبريطانيّين الأحرار. وقام الجسم الطبي في الجامعة بتدريب القوّات الأجنبيّة ضدّ مرض الملاريا، ودعم عمل الصليب الأحمر وعيادات سبيرز Spears المتنقلة (Dodge, 1958, p. 73- 4, 82). وقد أسّست هذه العيادات السيّدة سبيرز Spears التي أصحبت في النهاية عيادة دائمة في شتورة يترأّسها طبيب أطفال من الجامعة الأميركيّة في بيروت، وأدار فيها أطبّاء خريّجون من الجامعة برامج تقوية المناعة لدى الأطفال. وقدمت صيدليّة الجامعة الأميركيّة في بيروت ومختبراتها دعما تقنيا لهذا العمل خارج الجامعة[11].

بعد الحرب العالميّة الثانية أصبحت الجامعة الأميركيّة في بيروت مؤسّسة علمانيّة. وعندما أصبح قسطنطين زريق نائب الرئيس في العام 1954، كانت المؤسسة في طليعة النهضة العلمانيّة في العالم

---

[8] محفوظات الجامعة الأميركيّة في بيروت (مكتبة جافت). معهد الحياة الريفيّة، 1944 (AA:3.5.2). معهد الحياة الريفيّة في بيروت. بايارد دودج Bayard Dodge. أيضًا: إتصال شخصيّ بالدكتور نهاد داغر.

[9] AUB Archives (Jafet Library). Students Life 1882 - 1980s. AA: 4.3 1954 - Constitution: The Village Welfare Service

[10] من المثير للاهتمام ملاحظة بروز الاسم العربيّ رابطة الإنعاش القوميّ في مواد المحفوظات المكتوبة بالإنكليزية.

[11] AUB Archives (Jafet Library) Missionaries. AA:7.5.2.6. The Work of the Spears Mobile Clinics in Syrian and Lebanon, 194145-. pp2,17,2324-

العربيّ. وكما يلاحظ المؤرّخ جون مونرو إنّ قادة الجامعة «وجدوا أنّ التطرّق بجدّيّة إلى الأخلاقيّات وخدمة الشعب المتجرّدة مسألة تربكهم بازدياد؛ فكانت الجامعة الأميركيّة في بيروت قد شقّت طريقها إلى العالم المعاصر والعلمانيّ والعمليّ» (Munro, 1977, p. 76- 125).

وبالفعل، مع منتصف القرن العشرين، لم يعد على رأس الجامعة الأميركيّة في بيروت أفراد مبشرون قدموا إلى لبنان وهم ملتزمون مدى الحياة بالقيام بالأعمال الحسنة. فبعد الحرب العالميّة الثانية، كرّست الجامعة مقدارًا كبيرًا من الانتباه إلى تحسين المعايير الأكاديميّة، وتمّ تأسيس برامج العلوم الزراعيّة والاجتماعية وعلوم الصحّة العامة بتمويل من مؤسسات دوليّة كفورد Ford Foundation وروكفيلير Rockefeller، وكان ثمّة تحوّل منتظم بين الأساتذة الأكثر توجها نحو العالمية (Dodge, 1958, 94, p. 101- 2).

في ذلك الوقت تمّ إدماج ما كان نشاطات لاصفيّة للخدمة في البرامج الأكاديميّة. وكان التمويل الصادر عن برنامج النقطة الرابعة في الحكومة الأميركيّة وعن مؤسسات دوليّة قد سمح للجامعة بالتوسّع والتنوّع. وفي العام 1953، تمّ تأسيس مدرسة زراعية مع مزرعة اختباريّة في البقاع بتمويل من مؤسسة فورد (Munro, 1977, p.101- 104). وقدّمت مشاريع تنمية اجتماعيّة فرصًا بحثية للأساتذة. وتلقّت العلوم الاجتماعية الدعم من مؤسسة لورا شبلمان روكفيلير Laura Spelman Rockefeller التذكاريّة لتعمل على تطوير هذا العمل (Penrose, 1941, p. 243).

في هذا السياق اذاً ينبغي رؤية تطوّر برامج الخدمة الاجتماعية في الجامعة الأميركية في بيروت. لكن كانت ثمّة ضغوط منافسَة وأحيانًا مناقضة تُمارَس على الأساتذة والطلاّب على حدّ سواء. لقد أصبح يُتَوَقَّع من الأساتذة أن يعملوا وفقًا للمعايير الدوليّة، وليس كمجرّد أساتذة وباحثين جيّدين يعملون على مشاكل محليّة ملائمة. أصبح عليهم أن ينشروا في صُحُف دوليّة مواضيع تهمّ القرّاء الدوليّين. وقد أدى ذلك في النهاية إلى تحديد جديد للأولويّات، وفرض إشكالات مايزال الأساتذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت يتصارعون معها إلى اليوم.

وكمؤسسة راسخة بعمق في العالم العربيّ، أثّر الأساتذة والطلاّب وتأثروا بالمدّ المتزايد للقوميّة العربيّة وباليأس والغضب اللذين تولّدا غداة نشوء دولة إسرائيل في العام 1948. وقد ساهم مفكّرون من الشتات الفلسطينيّ إلى حدّ بعيد في صياغة شكل الجامعة الأميركيّة في بيروت وامتيازها الأكاديميّ في القرن العشرين. وكما ذكرنا أعلاه، شجّعت القوميّة على رفع مستوى الوعي المدنيّ وعلى الالتزام بالنهوض بالعالم العربيّ وبتطويره. وقد وجدت الجامعة الأميركيّة في بيروت أنّ جزءا من هذا الوعي ينذر بالخطر، كما هو موثّق جيّدًا في تواريخ أنشطة الطلاّب في حرم الجامعة (Anderson 2008a; Anderson 2008b; Rabah, 2008).

وواكبت أيضًا فترة ما بعد الحرب فترة من البحبوحة وما صاحبها من النزعة الشاملة إلى الاستهلاك. وتوحي مراجعة لمنشورات الطلاّب في الجامعة الأميركيّة في بيروت من الخمسينيات والستّينيات من القرن الماضي بأنّه بالنسبة إلى الكثير من طلاّب الجامعة كانت حياة الحَرَم الجامعيّ في تلك الفترة تعني المرح، إذ كانت النشاطات الخيريّة لدعم المُعدَمين ترافقها من وقت لآخر حفلات الرقص مع خلع الأحذية 'sock hop' dances ومهرجانات الجمال وعروض الأزياء[12].

[12] إتصال شخصيّ بالدكتور بيتّي أندرسن Betty Anderson.

وكانت الجامعة الأميركيّة في بيروت متأثّرة أيضًا بنزعة عالميّة أخرى، نتذكّرها بشكل بارز مع تلك الثورة العامة التي شنّها الشبّان في فرنسا في العام 1968 على كلّ ما هو قديم وقائم. كذلك كانت مناهضة التسلط في الجامعة الأميركيّة في بيروت استجابة أيضًا لأحداث إقليميّة: حرب أيلول/سبتمبر 1970 في الأردن، والحرب العربيّة – الإسرائيليّة في العام 1967 وفي العام 1973. وبلغ اضطراب الطلاّب ذروته في الجامعة الأميركيّة في بيروت في العام 1974، مع إضراب الطلاّب واحتلال مباني الجامعة، مِمّا أدّى إلى طرد 103 طلاّب (Munro 1977, p. 152 - 177; Anderson 2008a).

وبعد، حتّى في السنوات الصاخبة التي سبقت الحرب الأهليّة اللبنانيّة، نشّطت روحُ القوميّة العربيّة الخدمةَ الاجتماعية، وليس السياسةَ وحسب في الجامعة الأميركيّة في بيروت. فمثلاً، في العام 1972، نظّم طلاّب الجامعة لجنة تنمية وطنيّة لتعزيز التنمية الريفيّة المتكاملة في القرى المحيطة بالنبطيّة في جنوب لبنان. وقد انخرط الطلاّب من كليّات الجامعة كافة في العمل على حملات تلقيح الأطفال؛ وورش عمل للمزارعين حول تربية النحل، والعناية بأشجار الزيتون والأشجار المثمرة؛ وتوزيع أعداد كبيرة من شجر الزيتون واللوز والحامض والتين بأسعار مخفَّضة؛ ومساعدة المزارعين خلال حصاد التبغ؛ ومخيّمات في العطلات للأطفال؛ ودهن مباني المدارس وتصليحها وصيانتها، والمزيد من ذلك كلّه. فيما كانت النقليات يؤمنها الجيش اللبنانيّ واليونيسف والصليب الأحمر[13].

ومن المفهوم أن تكون أحداث الحرب الأهليّة (1975 – 1990) قد قيّدت الخدمة الإجتماعيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت لكنّها قدّمت أيضًا الكثير من الفُرَص التطوعية. وتبين سجلاّت الجامعة، كالتقارير التي قدّمها رؤساؤها إلى أمناء الجامعة، العزم التام الذي تطلّبه إبقاء الجامعة مفتوحة فيما الحرب الأهليّة قائمة خارج حَرَم الجامعة، مع تدبّر أمر الأضرار التي أحدثتها الحرب على الحرم الجامعيّ؛ وخطف الطلاّب والموظّفين والأساتذة وقتلهم؛ والعجز في الموازنة؛ والإنهاك المُشِلّ للهيئة التعليمية. لكنّ تلك التقارير نفسها تصف أيضًا الجهود التطوّعيّة البطوليّة لإبقاء العمل في غرفة الطوارئ في المستشفى في وقت كان الخطر يحدق بهيئة الموظّفين الأساسيّين للوصول إلى رأس بيروت، كما في ربيع العام 1976، أو عندما كان يُعتنى بالنازحين في الوست هول خلال الاجتياح الإسرائيليّ في العام 1982[14]. واستمرّت بعض الكليّات بإجراء البحوث الموجهة نحو المجتمع المحلي كلما كان ذلك ممكنًا. فعلى سبيل المثال، قامت كليّة علوم الصحة، بإجراء بحث مهم من هذا النوع خلال الحرب: مراقبة الأوبئة، ونشاطات التحكّم بالأمراض، وبشكل خاصّ رصد جودة مياه الشرب، وتقييم الخدمات، والبحث في تأثير الحرب على السكّان في لبنان (Armenian and Acra, 1988, p. 267).

في العقدَين الأخيرين، ومنذ انتهاء الحرب الأهليّة، عادت الجامعة الأميركيّة في بيروت مجدّدًا للاتصال بالمحيط. ويمكن ذكر أمثلة كثيرة. ففي الزراعة، خلق الطلاّب والأساتذة السلّة الصحيّة، وهي عبارة عن برنامج لدعم المزارعين العضويّين الصغار في لبنان. ويشارك الطلاّب في الهندسة المدنيّة بمخيّمات عمل صيفيّة مُصمَّمَة لتقديم خدمة تقنيّة للمجتمعات الريفيّة في لبنان. ويلتزم الطلاّب والأساتذة في الصحة العامة بالتعاون المكثّف والمتعدّد الأوجه مع سكّان زوطر الشرقيّة في جنوب لبنان. وتتعدّد النشاطات من إعادة تدوير النفايات الصلبة، وتطوير بدائل للتبغ، مرورًا بورش الصحة

[13] الدكتور حافظ الزين. إتصال شخصيّ. أنظر أيضًا: (Srouji, 1974, p. 12- 13).

[14] محفوظات الجامعة الأميركيّة في بيروت (مكتبة جافت) التقارير التي قدّمها الرئيس إلى مجلس الأمناء 1975–1990.

الوقائيّة، وصولاً إلى التحسينات في مركز العناية النهاريّة المحلّيّ (Germani, 2009). وفي العام 2001، أسّس طلاب الجامعة الطبّيّين وغير الطبّيّين العيادة التطوعيّة الخارجية في مخيّم اللاجئين في شاتيلا بهدف تزويد المحرومين من الخدمات بالعناية الطبّيّة. وتعمل العيادة بفضل الهبات وبواسطة موظّفين متطوّعين بالكامل، وتقدّم تقييمًا طبيًّا مجانيًّا، والأدوية والاستشارات، وخدمات مخبريّة مجانيّة، ومراجعات مجانيّة لقسم المرضى الخارجيّين في المركز الطبيّ في الجامعة الأميركيّة في بيروت[15].

وعلى سبيل الإيجاز، فإنّ المسؤوليّة الاجتماعيّة، المنظور إليها في الجامعة الأميركيّة في بيروت بعدسة الخدمة الاجتماعية والالتزام في المجتمع، قد تطوّرت منذ تأسيس الجامعة كانعكاس للأزمنة المتغيّرة: من مشاريع إنسانيّة تعكس الآداب المسيحيّة، وإحسان للمُعدَمين يدعو إليه النبلاء، ومساهمات جدّيّة في التنميّة القوميّة والحداثة، ومشاريع فرديّة للطلاّب والأساتذة مرتبطة مباشرة ببرامج أكاديميّة، وعبر ذلك كلّه، جهود مكثّفة للإغاثة في أوقات الأزمات. وعلى مدى السنوات وبشكل خاص منذ الحرب العالميّة الثانية، أثّرت الضغوط المنافِسَة والمتضاربة أحيانًا على استجابات الأساتذة والطلاّب لواجب الخدمة. وستتمّ مناقشة ذلك في القسم التالي.

ثالثًا: تحدّيات الالتزام ضمن سياق الجامعة

يؤكّد بيان رسالة الجامعة الأميركيّة في بيروت وظائف الجامعة الثلاث: التعليم، والبحث، والخدمة. وكما بيّنّا أعلاه، لطالما كانت الخدمة جزءًا من خبرة الطلاّب وهيئة الأساتذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت، وقد تمّ مؤخّرًا إقرارها بوضوح كأولويّة استراتيجيّة للجامعة.

> «إنّ الجامعة الأميركيّة في بيروت مؤسسة تعليم عالٍ تمّ تأسيسها للتزويد بالامتياز في التعليم، والمشاركة في تقدّم المعارف عبر البحث، وخدمة شعوب الشرق الأوسط وما أبعد منه...»

وبالرغم من هذا التاريخ الطويل والنبيل، وإيلاء الأولويّة للخدمة في الجامعة، فإنّ هذه الأخيرة تناضل ضدّ تحدّيّات هائلة لتسدّ الثغرة القائمة بين المُثُل المذكورة والواقع «على الأرض». ويمكن التعرّف إلى ثلاث تحدّيّات أساسيّة مترابطة: مدى تصوُّر الخدمة والالتزام كجزء من مشروع سياسيّ، كما عبّر عن ذلك واضعو نظريّة «التربية النقديّة»؛ ومسألة المساءلة – أي المسؤوليّة الاجتماعية – أمام من؟؛ وكيفيّة الاعتراف بالخدمة التي يقدّمها الطلاّب والأساتذة والمكافأة عليها حيثُ تكون مكافآت كهذه مهمّة للغاية.

أوّلاً، مدى تصوُّر الخدمة والالتزام كجزء من مشروع سياسيّ. ثمّة طُرُق كثيرة مختلفة لتصوُّر الخدمة والالتزام، وإنّ تاريخ الجامعة الأميركيّة في بيروت يتّصل بمعظمها. إنّ الخدمة كعملٍ خيريّ قد تخفّف بعض الشيء من الآلام لكنّها نادرًا ما تسعى إلى تغيير الوضع الراهن. فإلى أيّ مدى ينبغي على الطلاّب والأساتذة في جامعة ما أن يسعوا إلى تغيير الوضع الراهن؟ ثمّة أشخاص كُثُر قد يجادلون

[15] الدكتور منى نصرالله، إتصال شخصيّ. أنظر أيضًا: موقع الويب www.voclebanon.org الذي تم تصفحه بتاريخ 2009/2/26

في أنّه يجب على الأكاديميا أن تبقى خارج السياسة أو أن تعلو عليها، وأنّه ينبغي صون البرج العاجيّ للتعلّم والتفكير. ولا يحتاج المرء إلى النظر عميقًا جدًّا في التاريخ اللبنانيّ ليتبين المفاعيل المُحرقة المُحتمَلة للشقاقات والطائفيّة السياسيّة، إذا ما أُطلِقَ لها العنان في الحَرَم الجامعيّ.

إنّ كلمة «السياسيّ» التي نشير إليها هنا تحمل معنى مختلفًا. فهي تعبر عن دور الجامعة، وبشكل خاص هيئة أساتذتها وطلاّبها، في تصوّر مستقبل مختلف وأفضل للجميع وفي العمل على تحقيقه. ومن الملفت أن هذا المشروع السياسيّ هو أقرب إلى أفكار الآباء المؤسسين للجامعة من المفاهيم الأحدث حول دور الجامعات كأفكار دانيال بليس Daniel Bliss الذي كان واعيًا تمام الوعي إلى مسألة أنّ التعليم في كليّته قد يضعف الهيمنة التركيّة، أو أفكار بايارد دودج Bayard Dodge الذي آمن أنّ القرية وحيّ الفقراء في المدينة، والسوق، والمصنع تقدّم مشاكل تستحقّ الدراسة الأكاديميّة (Bliss, 1993, p. 33). إن كلمة سياسي تعني هنا أن يقوم أعضاء الهيئة التعليمية، كمواطنين أكاديميين يتخذون مواقف نقدية، بربط عملهم بمسائل اجتماعيّة أعمّ، وبتشجيع طلاّبهم على الانخراط في مشاريع وأبحاث اجتماعيّة تكون مسؤولة اجتماعيًّا، وفي النهاية بإعطائهم الأمل بأنّهم سيتمكّنون من إحداث تغييرات في مجتمعهم وفي العالم (Giroux and Giroux, 2006, p. 29). ففي حقل الزراعة مثلاً، ينضمّ الأكاديميّون الملتزمون إلى حركات اجتماعيّة تطرح مسائل كالزراعة المدعومة من المجتمع، والأغذية العضويّة، والممارسات المستدامة بيئيًّا، لتدفع إلى تبنّي جدول أعمال غايته الرئيسيّة «التغيير التحرّريّ الهادف إلى وضع حدّ للظلم» (Constance, 2008).

ومع أنّ المشروع السياسيّ ليس جديدًا على الجامعة الأميركيّة في بيروت، يمكننا القول بثقة إنّه ما من إجماع في الجامعة حاليًّا حول قيمة انخراط سياسيّ من هذا النوع أو حول الحكمة منه.

ثانيًا، عندما يلتزم الطلاّب والأساتذة في الجامعة بمشاريع تهدف إلى تحسين واقع العالم، أمام من يخضعون للمساءلة؟ ذلك إن الطلاّب يجب أن يستمرّوا في العمل الأكاديميّ المطلوب منهم لينجحوا في مقرّراتهم عندما يشاركون في نشاطات خدمة صفيّة ولاصفيّة. وبهذا المعنى، إنّهم يخضعون لمساءلة أساتذتهم. وعلى أعضاء الهيئة التعليمية أن يكونوا مسؤولين عن تعليمهم وأبحاثهم ونشاطات الخدمة التي يقومون بها أمام أقرانهم الأكاديميّين وأمام رؤسائهم المسؤولين عن الحكم على أدائهم. (سنتطرّق أدناه إلى هذه المسألة بدرجة أكبر من التفصيل). وكما هي الحال مع الطلاّب، تبقى القنوات العاديّة لمساءلة هيئة الأساتذة ضمن الحَرَم الجامعيّ.

وتتضمّن محفوظات الجامعة الأميركيّة في بيروت الكثير من الوثائق التي تتحدّث عن أعمال خيريّة تمّت، وعن خبرات غيّرت حياة الطلاّب الذين قاموا بها، وعن تطوّرات تكنولوجيّة تم استقدامها في حقلي الطبّ والزراعة. ولا يُعرَف الكثير عن كيفيّة مشاركة المستفيدين المستهدَفين في النشاطات المتعلّقة بالخدمة التي قامت بها الجامعة وكيفيّة استفادتهم منها، أو حتّى إذا ما كانوا بالدرجة الأولى يعتبرون النشاطات أولويّات[16]. وحيثُ كانت هيئات خارجيّة تقوم بتمويل النشاطات، كان الطلاّب والأساتذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت يخضعون للمساءلة تجاه هذه الهيئات، بالنسبة إلى استخدام الأموال المُتَّفَق عليها، ممّا يضيف وجهة قويّة للمساءلة يمكن أن تفوق كلّ الادّعاءات الأخرى، خصوصًا من قِبَل الجهات المحليّة الأقلّ قوةً.

[16] نُدين للدكتور بيتّي أندرسن Betty Anderson بالتأكيد على هذه النقطة.

لقد ولّى زمن مطاعم الفقراء في سوق الغرب. وتمت إعادة صياغة إشكالية المساءلة والمشاركة في مساعٍ تبدأ من الإغاثة الإنسانيّة، والتنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة، لتصل إلى الأكاديميّة نفسها (Strathern, 2000)[17]. غير أنّه لا يزال يترتّب على الجامعة الأميركيّة في بيروت أن تناقش بشكل مفتوح السؤال التالي: المسؤوليّة الاجتماعيّة أمام مَن وعَمَّن؟ وبالإضافة إلى ذلك، يجد الكثير من أعضاء الهيئة التعليمية أنّهم غير مُهَيّئين لمواجهة التعقيدات الاجتماعية والسياسيّة القائمة في العمل الاجتماعيّ، خصوصًا العمل المُعَرَّف ضمن إطار تشاركيّ.

ويتعلّق التحدّي الثالث والأخير بتقدير المؤسسة للخدمة وقيامها بمكافأة الطلاّب والأساتذة الذين يؤدّونها. ومع أنّ الخدمة هي إحدى دعامات الحياة الأكاديميّة، إلى جانب التعليم والبحث، وقد اعتبرت ذات أولويّة في استراتيجية الجامعة، فإنّ الخلاف حول قيمتها قوي في الجامعة الأميركيّة في بيروت. على مدى أكثر من خمسين عامًا، عملت الجامعة الأميركيّة في بيروت على زيادة معاييرها الأكاديميّة استنادا إلى المعايير الدوليّة السائدة. وكنتيجة لذلك، صار بعض الإنتاج الأكاديميّ مُقَيّمًا أكثر من أعمال أخرى: البحث أكثر من التعليم والخدمة؛ ومخرجات البحث الفرديّ أكثر من جهود بناء المؤسسة؛ والأبحاث التي يتمّ نشرها في المجلات الدوليّة المحكمة أكثر من المنشورات المحليّة أو الإقليميّة؛ والبحث في مسائل نظريّة أو منهجيّة أكثر من البحث في التطوير الهادف إلى حلّ مشاكل محليّة أو إلى تحسين ظروف عيش الفقراء. وبأبسط الأشكال، تُتَرجم هذه المعايير إلى كميّة معينة من النشر في مجلات ذات وقع كبير. وكما علّق منتقدو هذه المقاربة (Dupeyrix, 2009)، فإنّ نظام التقييم الأكاديميّ هذا المنتشر عالميًّا قد أدّى إلى سباق جرذان حول «أنشر أو تهلك»، حيث تقف الآن الجامعة الأميركيّة في بيروت إلى جانب الباقين.

إنّ هذه المعايير مهمّة لأنّها تحدّد ما ستؤول إليه حال الأكاديمي الفرد: كيف يتمّ تقييم أدائه، إذا ما كان سيُرَقّى؛ وإذا ما كان عقده سيُجَدَّد. لقد جمّدت الجامعة الأميركيّة في بيروت مسار تثبيت أساتذتها في أواسط السبعينات من القرن الماضي، لذا يُفهَم أن يشدّد الأساتذة الطموحون على هذه المعايير المتعلقة بإنتاجهم الأكاديميّ لأنها هي التي يبنى عليها تجديد العقد بالدرجة الأولى. وبتعبير آخر، في حين أنّ الكثير من الأساتذة قد يكونون مقتَنِعين بأهميّة المقاربات المبنيّة على المجتمع المحلي في التعليم والبحث والخدمة، فإنّ القليل منهم مستعدّون للغوص في الموضوع، خصوصًا في ظلّ غياب ضمان الوظيفة.

وحتّى أولئك المؤيّدون للفكرة القائلة بأنّ الخدمة مهمّة في حياة الجامعة الأميركيّة في بيروت وأنّه ينبغي أن تدخل في حساب تقييم الأداء، فهم غير واضحين بشأن كيفية قياس هذه الخدمة بالضبط وكيف نقيمها عند تقييم أداء الأساتذة. وتجري مناقشات داخليّة حول مجريات هذا الأمر، لكن ما يثير الاهتمام عمومًا هو مقدار المحدوديّة التي يتمّ بها التعريف بالخدمة. هذا التعريف لا يتعلق بالقيمة الضمنية للخدمة – كفعل مواطنة – بل بكيفيّة بناء رأسمال مالي أو اجتماعي أو سياسي للمنفذ من خلال الخدمة في لجان الخبراء، وهيئات رئاسة التحرير، ومقالات في وسائل الإعلام.

وفي ظلّ الظروف الراهنة، قد يكون لنشاطات الخدمة التي يقوم بها الأساتذة تأثير ضئيل ككلّ على كيفيّة الحكم على إنتاجهم الفكريّ. وبشكل مثير للتعجّب، العكس صحيح بالنسبة إلى الطلاّب. فإنّ

[17] مع أنّ الكثير قد كُتب مؤخّرًا حول المقاربات التشاركيّة، فإنّ هذا المرجع الكلاسيكيّ يورِد التحدّيات بإيجاز: (Arnstein, 1969, p. 216- 224).

نشاطات الخدمة تشكّل إضافات مرغوب فيها للغاية في سِيَر الخرّيجين الذاتيّة وفي تقديم الطلبات، حيثُ لا تكفي العلامات المُحرَزَة في الاختبارات والترتيب في معدّلات العلامات لتمييز المُرَشّحين الأوائل عن الباقين. ومن الواضح أن طلاّب الجامعة الأميركيّة في بيروت لا ينخرطون جميعا في التطوّع والخدمة الاجتماعية لأسباب نفعية ، لكنّ عددًا متزايدًا من الطلاّب ينحو هذا المنحى.

رابعًا: ثلاث مبادرات جديدة في الجامعة الأميركيّة في بيروت

تعيد ثلاث مبادرات جديدة في الجامعة الأميركيّة في بيروت تأكيد التزام الجامعة بالخدمة، لكنّها تقدم أيضًا أمثلة ملموسة حول كيفيّة معالجة الجامعة بالممارسة للتحديّات التي تواجهها.

1. مركز الالتزام المدنيّ وخدمة المجتمع

إنّ الحرب التي شنّتها إسرائيل على لبنان في العام 2006 والتي تسبّبت بأضرار كثيرة في البشر والحجر في كلّ البلاد وأجبرت الكثير من سكّان الجنوب وضواحي بيروت الجنوبيّة على الهرب من منازلهم، دفعت الجامعة الأميركيّة في بيروت مجدّدًا إلى نطاق أعمال الإغاثة، فلعبت الدور الذي لعبته منذ أيّامها الأولى والذي لم تخطّط له هذه المرّة. عمل الطلاّب والأساتذة والموظّفين بعفويّة مع آخرين لتزويد مَن أصابهم العنف بالعناية الفائقة. وبُعيدَ الحرب التي دامت شهرًا، شكّل رئيس الجامعة لجنة خاصة (Task Force) لإعادة الإعمار والخدمة الاجتماعيّة تتألّف من الأساتذة والإداريّين في الجامعة الأميركيّة في بيروت الذين كانوا الأكثر نشاطًا في جهود الإغاثة. وقدّمت اللجنة الدعم لطلاّب وأعضاء آخرين في الهيئة التعليمية المنخرطين في المهمّة الضخمة المتمثّلة بالإغاثة المباشرة وإعادة الإعمار. وقامت اللجنة بالتشجيع على المشاريع الاجتماعية، وجمعت الأموال لها بهدف تقوية سُبُل العيش المستدامة في المناطق المحرومة من الخدمات. ومن هذه التجربة، أوصت المجموعةُ الجامعةَ بخلق نقطة بؤريّة للخدمة الاجتماعية والانخراط فيها، أي خلق مكان يمكن فيه الدعوة إلى انخراط الطلاّب والأساتذة في العمل الاجتماعي ودعمهم في الوقت نفسه (Task Force for Reconstruction and Community Service, 2007).

وكما بيّنّا في هذه الورقة، فإن الإلتزام في المجتمع والخدمة الاجتماعيّة ليسا جديدين على الجامعة الأميركيّة في بيروت. وقد أكّدت أحداث حصلت مؤخّرًا في لبنان والمنطقة فضلاً عن تطوّرات في فروع مختلفة من الدراسة الأكاديميّة، على ضرورة أن تكون الجامعة الأميركيّة في بيروت أكثر تفكيرًا في خدمتها والتزامها الاجتماعي وأكثر وعيًا لهما. وللتعبير عن ذلك ببساطة، آن الأوان للجامعة الأميركيّة في بيروت أن تدرس كمية الخدمة ونوعيّتها، وبشكل خاصّ كيفية أن يستجيب كل من الخدمة والانخراط معًا لأولويّات المؤسسة وأن تتحداها.

إنّ مركز الالتزام المدنيّ وخدمة المجتمع، القائم في مركز الرئيس في الجامعة الأميركيّة في بيروت، قد أُطلِقَ في آذار/مارس من العام 2008 مع تعيين مدير من الأساتذة بدوام نصفيّ لقيادة المبادرة وتطويرها. ويهدف هذا المركز إلى تطوير ثقافة الخدمة والقيادة المدنيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت. وإنّ إحدى غاياته الأوليّة هي تزويد الأساتذة والطلاّب في كلّ فروع الدراسة بفُرَص درس والاستجابة إلى مسائل اجتماعيّة ومدنيّة حرجة تطال الناس في لبنان والشرق الأوسط.

وسيعمل المركز كمحور للخدمة الاجتماعية والالتزام المدنيّ في الجامعة الأميركيّة في بيروت. وتتضمّن وظائف المركز: دعم مبادرات البحث المبنيّ على المجتمع المحلي، وتطوير تعلّم الخدمة ودعمه، وتنظيم برنامج قويّ لنشاط الطلاّب خارج الجامعة.

ومنذ بدايته في ربيع العام 2008، ربط المركز الطلاّب بفُرَص تطوّع كثيرة. وقد تمّ تنظيم نشاطات خارجية قصيرة الأجل ومشاريع اجتماعيّة طويلة الأجل معًا مع شركاء الجامعة الأميركيّة في بيروت وآخرين من خارج الجامعة. وكأمثلة على التنوّع: مسح المنازل القديمة التقليديّة المطروح إعادة تأهيلها والمساعدة في إعادة إعمار المنازل التي تضرّرت في جنوب لبنان، ومحو الأميّة المعلوماتيّة في القرى، وخلق دار حضانة نهاريّة للأطفال، وتطوير مساحات عامة في المجتمعات الريفيّة، والمساندة في مشروع صحّة الشباب في مخيّم برج البراجنة الفلسطينيّ، وزرع الأشجار، وجمع الثياب المستعملة للأسَر المحتاجة، وكتابة الشعر العربي على جدران المدُن، والمزيد من ذلك.

وكان الطلاّب عمومًا متقبّلين لهذه النشاطات. مع اختلاف في حوافزهم. فبعضهم يتطوّع انطلاقًا من قلقه كمواطن مسؤول اجتماعيًّا، وبعضهم الآخر يتطوّع ليعزّز الإفادات التي تساعده على الترقي في مهنته. لكن النوعين موجدان. كما أن الكثير من نوادي الطلاّب في الجامعة الأميركيّة في بيروت تضع الخدمة الاجتماعيّة كأحد أهدافها. ومع ذلك، لا تسود روح التطوّع في الجامعة، لأسباب كثيرة منها: أنّ النجاح الأكاديميّ يشغل بال الطلاّب، وأنّ فُرَص النشاط خارج الجامعة ليست بعد كافية لتستوعب أعدادا كبيرة من المتطوّعين، وفي بعض الحالات، لا يكون الطلاّب على اطّلاع على النشاطات، كما أنّ الروابط بالمنظّمات خارج الجامعة التي قد تُشرِك الطلاّب المتطوّعين يمكن أن تكون أقوى.

بدأ المركز بمعالجة هذه التحدّيّات من خلال تنظيم برنامج خارجي (outreach program) وتزويد الطلاّب بالمزيد من الفُرَص، مع التوفيق بين فُرَص التطوّع واهتماماتهم الأكاديميّة والشخصيّة، وتطوير نظام لتقدير نشاطات الطلاّب خارج الجامعة. فمثلاً، إنّ المركز بصدد تطوير «سجلّ اجتماعيّ» سيضع قائمة بكلّ النشاطات التطوعيّة وسيكون مكمّلاً للسجلّ الأكاديميّ النموذجي الموحّد.

إن مسألة وجوب إبقاء الخدمة الاجتماعية تطوعيّة أم جعلها من متطلّبات الطلاّب ليست مطروحة حاليا على جدول أعمال الجامعة الأميركيّة في بيروت. هناك حاجة إلى المزيد من الوقت لاختبار وقع المبادرات الحاليّة وتقييمها على الطلاّب والمجتمعات المحلية التي تتمّ خدمتها. تقييم الأثر على المجتمع نادرًا ما يحصل أو يتصدّر الاهتمامات. وفضلاً عن ذلك، إنّ جعل الخدمة الاجتماعيّة من المتطلّبات يمثّل تحدّيات لوجستيّة جمّة تفوق قدرة الجامعة الأميركيّة في بيروت والمنظّمات الشريكة لها في الوقت الحاضر.

بالإضافة إلى النشاطات اللامنهجية الخارجية التي يتمّ تطويرها، لقد بدأ أيضًا مركز الالتزام المدنيّ والخدمة الاجتماعيّة بالنظر في كيفيّة جعل هذه النشاطات جزءًا من أعمال المقرّرات في الجامعة الأميركيّة في بيروت. وخلال صيف العام 2008، أقيمت ورشة عمل حضرها أساتذة من الجامعة الأميركيّة في بيروت وزملاء من الجامعة الأميركيّة في القاهرة، بمصر وجامعة الأرض في كوستاريكا ناقشت منافع تنفيذ الخدمة أو التعلّم المبنيّ على المجتمع المحلي ومتطلّباته في الجامعة الأميركيّة في بيروت. كما أن هناك مناقشات تجري مع رؤساء الأقسام والعمداء بهدف صياغة نموذج للتعلّم المبنيّ على المجتمع المحلي في الجامعة الأميركيّة في بيروت، يأخذ بعين الاعتبار السياق المؤسساتيّ والثقافيّ للجامعة.

إنّ التزام الأساتذة هو مسألة أخرى، يرجع صداها على مدى هذه الورقة. ولمركز الالتزام المدنيّ والخدمة الاجتماعيّة حقّ مكتسَب في تعزيز الانخراط الاجتماعيّ للأساتذة في كلّ الجامعة، لكنّ القول أسهل من العمل في ما يتعلّق بدمج الخدمة في الدراسة والبحث الأكاديميّين. وإنّ المشكلة الأساسيّة كما ناقشنا ذلك في الجزء الثالث تكمن في النظام الحالي لتقييم الأساتذة. وكون المركز النقطة البؤريّة للخدمة الاجتماعية والالتزام الاجتماعي في الجامعة الأميركيّة في بيروت، فسيلعب دورًا أساسيًّا في تحدّي الأولويّات المؤسساتيّة الحاليّة من خلال الدفاع عن تثمين الخدمة في تقييم هيئة الأساتذة (Mabsout 2008; Mabsout 2009).

2. رفع مستوى البحث وتمكين المجتمعات: نشاط الجامعة الأميركيّة في بيروت في وادي البقاع

إنّ المركز الزراعيّ للبحث والتعليم (AREC) هو حرم الجامعة الأميركيّة في بيروت الواقع في البقاع. وإذ تمّ تأسيسه في العام 1953 على مساحة 100 هكتار من الأراضي قرب بعلبك في شمالي البقاع، فقد أوجدته الجامعة في الأساس للطلاّب والأساتذة والمجتمع المحليّ ليتعاونوا جميعًا على تطوير حلول ابتكاريّة للمشاكل الزراعيّة. وعلى مرّ السنين، أدّى الاهتمام بالعيش الحسن للسكّان في الريف إلى أن يقوم المركز بنقل تركيزه في العمل إلى تنمية المجتمع الريفيّ وبشكل خاص مسألة تحسين سُبُل العيش في الريف. إنّ منطقة البقاع هي أشدّ المناطق فقرًا في لبنان، ومع أنّها تفتقر إلى المياه بشكل مزمن، فهي تُعَدّ المنطقة المُنتِجة للحبوب في البلد (Faculty of Agriculture and Food Sciences 2009; Zurayk 2009).

ومنذ أن تأسّس المركز الزراعيّ للبحث والتعليم في العام 1953، قام بتسهيل تحقيق إنجازات كبيرة في الزراعة والتنمية الريفيّة. وتتضمّن هذه الإنجازات إدخال إنتاج الدجاج الحديث إلى الشرق الأوسط، وأنواع جديدة من القمح والشعير، والزراعة العضويّة، والالتزام بالمحافظة على التنوّع البيولوجيّ. وفي السنوات الأخيرة، عمل المركز الزراعيّ للبحث والتعليم كمركز لخدمات التوسّع التطوّعيّة في لبنان من خلال أشكال متنوّعة من المشاريع المموّلة من الخارج: صناعة الألبان والأجبان؛ وجمع العلف؛ وفي عرسال: تحسين مستدام للأراضي الهامشيّة؛ وفي اليمّونة: نقل التكنولوجيا إلى المزارعين المستفيدين من برنامج ريّ اليمّونة، وزراعة مستدامة في منطقة القرعون.

وغداة الحرب التي شنّتها إسرائيل على لبنان في العام 2006، انضمّت الجامعة الأميركيّة في بيروت إلى جهود إعادة الإعمار لإعادة بناء أرزاق السكّان المدمّرة في جنوب لبنان. وكيّف برنامج إغاثة البشر والحجر نموذجًا من الصحة العامة، هو «العيادة» المتنقلة للتنمية الريفيّة، الذي قدّم للمجتمع الريفيّ النصح حول تنمية الزراعة والأعمال. وقد تمّ حديثًا نقل برنامج إدارة البشر والحجر إلى المركز الزراعيّ للبحث والتعليم. وقام البرنامج، مع الإبقاء على العيادات النقّالة في الجنوب، بتوسيع خدماته إلى البقاع، حيث تقوم عيادة نقّالة الآن بتغطية حاجات توسيع المزارع وبناء القدرة في تعاونيّات المزارعين والنساء في القرى الـ12 المحيطة بالمركز الزراعيّ للبحث والتعليم. وحقّق البرنامج تقديرًا دوليًّا. فقد أُعلنت عنه وسائل الإعلام اللبنانيّة والعربيّة والأميركيّة والهولنديّة والألمانيّة، كما حاز على شهادة تقدير من برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ على طريقته المبتكرة.

وفي العام 2008، اتّخذت كليّة الزراعة وعلوم الأغذية في الجامعة الأميركيّة في بيروت قرارًا بتعزيز

التزامها بسُبُل العيش الريفيّة المستدامة وبترسيخ هذا الالتزام، وفي الوقت نفسه، جعل النشاط الخارجي يشمل كل الجامعة، لتصبح حرفيًّا حَرَم الجامعة الأميركيّة في بيروت الواقع في البقاع. وتشتمل القراءة الجديدة للمختصر AREC مهمّة المركز الزراعيّ للبحث والتعليم: رفع مستوى البحث وتمكين المجتمعات (Advancing Research, Enabling Communities). لقد بدأ المركز الزراعيّ للبحث والتعليم من خلال الالتزام بالخدمة وسعى للعمل ضمن أُطُر العدالة الاجتماعية، ثم حقّق غاياته عبر التعلّم من الخبرة، والبحث التكيّفيّ، والامتداد إلى المجتمع. ويخطّط المركز الزراعيّ للبحث والتعليم في السنوات المقبلة لإنشاء مركز لتنمية إدارة الأعمال الزراعيّة بهدف تحفيز الريادة في الأعمال من خلال خدمات الاحتضان، والدعم التقنيّ، وورش العمل في إدارة الأعمال الزراعيّة.

وعلى المركز الزراعيّ للبحث والتعليم مواجهة تحدِّيَين كبيرين في المستقبل القريب: كيفيّة خلق الآليّات والحوافز الصحيحة لجذب المزيد من الطلاّب والأساتذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت إلى المركز الزراعيّ للبحث والتعليم، وكيفيّة جعل أجندة للعدالة الاجتماعية إجرائية.

لطالما كان الطلاّب والأساتذة في الزراعة على صلة وثيقة بالمركز الزراعيّ للبحث والتعليم. وسواء كان الطلاّب يعملون على المشاريع في المركز كجزء من المنهج الأكاديميّ أو كموظّفين متطوّعين أو مأجورين فإنّهم يحوّلون النظريّات إلى تطبيق من خلال الاختبار . وعلى عكس المقرّرات التي يتمّ تدريسها في حرم الجامعة في بيروت، فإنّ معظم مقرّرات المركز الزراعيّ للبحث والتعليم تتضمّن الآن مكوّن خدمة يضع الطلاّب في اتّصال مباشر بالمجتمع المُحيط بهم. ويقضي حاليًّا طلاّب الزراعة، وطلاّب تصميم المناظر الطبيعيّة، وطلاّب إدارة البيئة نصف السنة الأكاديميّة بالإقامة في المركز الزراعيّ للبحث والتعليم. ففي الفصل الدراسيّ لربيع العام 2009، مثلاً، عمل طلاّب تصميم المناظر الطبيعيّة وطلاّب إدارة البيئة مع نادي البيئة الطلاّبيّ في مدرسة بلديّة بدنايل، وهي قرية مجاورة، لإعادة تأهيل أساسات المدرسة ولإعادة تصميم منظرها الطبيعيّ وإدارته.

ومع ذلك، فإنّ التحدّي الجديد الذي تواجهه الجامعة الأميركيّة في بيروت كمؤسسة هو أن تستثمر بالكامل ما يقدّمه المركز الزراعيّ للبحث والتعليم: فرصة إقامة شراكات مستدامة مع المجتمعات المحلية في إحدى المناطق الأكثر حرمانًا في لبنان. ويقدّم المركز الزراعيّ للبحث والتعليم إلى هيئة الأساتذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت تسهيلات لا مثيل لها للبحث والتعليم والخدمة في المناطق الريفيّة في لبنان. غير أنّه بالنظر إلى العقبات القائمة أمام الخدمة الاجتماعيّة وأبحاث التطوير المركّزة على مشاكل الجماعات المحرومة، سيترتّب على المركز الزراعيّ للبحث والتعليم خلق حوافز جديدة لجذب الأساتذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت من كلّ فروع الجامعة إلى مقرّها في البقاع. وقد تتضمّن هذه الحوافز مصادر جديدة لتمويل الأبحاث على مشاريع ما بين فروع الدراسة أو ما بين الكليّات تكون قاعدتها في المركز الزراعيّ للبحث والتعليم، وشراكات حقيقيّة مع السكّان المحلّيّين لتجنيدهم للبحث أو التعلم القائم على الخدمة، ومساحة للانعزال والكتابة في الاستراحات أو الإجازات لإجراء أبحاث قصيرة.

ولبدء هذه العمليّة، توزع كليّة الزراعة وعلوم الأغذية الآن نشرة إخباريّة لإعلام جميع الأساتذة عن إمكانيّات الخدمة والتعلّم والبحث في المركز الزراعيّ للبحث والتعليم. وقد أنشأت حديثا لجنة موسعة على مستوى الجامعة، هي لجنة الدمج في المركز الزراعيّ للبحث والتعليم، تتألّف من ممثّلين من كلّ الكليّات وكلّ المراكز داخل الكليّات، وذلك للتعريف بالمركز الزراعيّ للبحث والتعليم بين أساتذة

الجامعة الأميركيّة في بيروت. وعلى سبيل المثال نجد أن مركز إبصار (Nature Conservation Center for Sustainable Futures-IBSAR)، وهو مركز ما بين الأساتذة، ويهدف إلى المحافظة على الطبيعة للمستقبل المستدام، قد أمن لنفسه حضورًا قويًّا في المركز الزراعيّ للبحث والتعليم، إذ يستخدمه كقاعدة للكثير من نشاطاته. ومن برامجه «بذور الأمل أشجار الغد» (Seeds of Hope, Trees for Tomorrow) الذي يزوّد البلديّات بالدعم والإرشاد لإدخال أشجار محلية في برنامج البلديات لتشجير المُدُن. وينظّم البرنامج نشاطات منتظمة لزرع الأشجار تأتي بعشرات الطلاّب للمشاركة في برامج المحافظة على الطبيعة.

إنّ التحدّي الثاني المباشر الذي يواجه المركز الزراعيّ للبحث والتعليم يتمثل بالسؤال عن أفضل السبل لجعل أجندته حول العدالة الاجتماعية عملانية. ذلك أنه بسبب موقعه القائم في إحدى المناطق الأشدّ فقرًا في لبنان، يقدّم المركز الزراعيّ للبحث والتعليم فرصة استثنائيّة للجامعة الأميركيّة في بيروت لتحقّق التزامها بتحسين حياة السكّان في لبنان والمنطقة. إنّ البرامج الحاليّة للنشاطات الخارجية (outreach programs) التي ينفّذها المركز الزراعيّ للبحث والتعليم تشدها رغبة بعض الأساتذة في المساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الفقيرة المحيطة. وفي السنوات الحديثة، اتّخذت الجامعة الأميركيّة في بيروت خطوات حازمة لتعمل على مواضيع تهمّ المجتمعات الريفيّة المحرومة من خلال تعليم برامج في الزراعة العضويّة والمدعومة من المجتمع المحلي، ومن خلال التشديد على سُبُل العيش الريفيّة، والتأكيد على أهميّة الاستدامة والإنصاف في التنمية الريفيّة.

ويقوم المركز الزراعيّ للبحث والتعليم باتّصالات متعدّدة العناصر مع المجتمع المحلّيّ: من خلال «العيادات» المتنقلة، وبرامج النشاطات الخارجية، وصفوف التعليم المستمر المؤمّنة للسكّان المحليّين، والوصول إلى تعاونيّات المزارعين والنساء، ومشاريع الطلاّب في قرى الجوار، وأبحاث التطوير أو الأبحاث «التحويليّة» التي يجريها الأساتذة. وفيما يسعى المركز الزراعيّ للبحث والتعليم إلى تعزيز جدول أعماله القائم على العدالة الاجتماعيّة، فإنّ مجموعة التحدّيّات التالية تتعلّق بطُرُق العمل مع المجتمع المحلّيّ، والتفكير في مسألتي المشاركة والمساءلة، وطبيعة الشراكات التي يتمّ تطويرها مع السكّان والجماعات في البقاع.

ويتمّ حاليًّا تطوير استراتيجيّة جديدة لتثمين المركز الزراعيّ للبحث والتعليم. وتكمن فكرتها المركزيّة في إعادة دمج المركز في الجامعة ككلّ، والإقرار بقدرة المركز في المساهمة في بناء رأس المال الاجتماعيّ في الجامعة الأميركيّة في بيروت. غير أنّ ذلك لا يمكن إنجازه من دون إقرار مؤسساتيّ واضح بأهميّة رأس المال هذا.

3. مبادرة حسن الجوار: الذهاب إلى ما هو أبعد من الحَرَم الجامعيّ في رأس بيروت

تمّ افتتاح السنة الأكاديميّة 2007-2008 بدعوة رسميّة وبخطاب ألقاه رئيس الجامعة الأميركيّة في بيروت آنذاك، جون واتربوري John Waterbury، الذي دعا الجامعة بتحدٍّ إلى الذهاب إلى ما هو أبعد من حَرَمها والانخراط مع الجوار في رأس بيروت. وثمّة أسباب كثيرة دعت إلى هذا التحدّي: فمع أنّ حضور الجامعة الأميركيّة في بيروت كان نافعًا لنموّ منطقة رأس بيروت وتنميتها إبّان تواجد الجامعة على مدى 140 سنة، فإنّ الحرب الأهليّة اللبنانيّة أجبرت الجامعة على أن تتّخذ بازدياد موقفا انطوائيا متزايدا حول مكانتها. وبحلول العام 2007، أدت المقابلة بين الوضع المزدهر والمسالِم داخل

الحرم (وكلمة حَرَم هي ذات دلالة بالعربيّة) من جهة والجوار الذي يزيد ازدحاما وفوضى من جهة ثانية، إلى إجبار الجامعة على فحص علاقتها بمكانها: ما نوع الجار المديني في ما هي عليه الجامعة الأميركيّة في بيروت؟ إنطلاقا من هذا التحدي أبصرت مبادرة الجوار النور.

ثمّة سببان رئيسيّان دفعا الجامعة الأميركيّة في بيروت للعمل على حسن حال جوارها – وهو مشروع انخراط ذو تركيز جغرافيّ محدّد. يكمن السبب الأوّل في المصلحة الذاتيّة المستنيرة: فللإبقاء على قدرة الجامعة على جذب الأساتذة والطلاّب الممتازين، يكون للجامعة حقّ مكتَسَب في الإبقاء على منطقة بيروت المحيطة بها مكانًا محفّزًا وسارًّا وبمتناول الجميع. أمّا السبب الرئيسيّ الآخر فيكمن في أنّه يترتّب على الجامعة أن تكون أفضل مؤسسة مدنيّة بل حتّى المؤسسة المدنيّة الأمثل، كونها أحد أرباب العمل الخاصين الأهم في بيروت. إنّ المبادرة مبنيّة على مبدأ المنفعة المتبادلة: المشاركة والمعاملة بالمثل، وليست عبارة عن نقل أحاديّ للمعرفة وللأعمال الخيّرة.

ومن خلال مبادرة حسن الجوار، تلعب الجامعة الأميركيّة في بيروت ثلاثة أدوار في جوارها:

أ. الجامعة الأميركيّة في بيروت كجار مثاليّ: تعزيز جوّ يكون التغيير فيه ممكنًا من خلال امتداد مُنَشَّط لكن هادف، ونشاطات مباشرة تبيّن التزام الجامعة بجوارها؛

ب. الجامعة الأميركيّة في بيروت كمنتِج معرفة للخير العام: تزويد الأساتذة والطلاّب بحوافز لإجراء الأبحاث على مشاكل تواجه الجوار؛

ج. الجامعة الأميركيّة في بيروت كشريك في إعادة إحياء تنوّع الجوار وحمايته: خلق تغيير إيجابيّ ومُستدام من خلال التركيز الاستراتيجيّ على مشاريع يكون لها تأثيرات ثانويّة إيجابيّة كثيرة؛

لقد سمحت المقابلات المكثّفة التي أُجرِيَت مع الجيران بتحديد أولويّات العمل المباشرة. فمثلاً، تذمّر الجيران من نقص الخَضار، لذا دعمت المبادرةُ الأساتذة والطلاّبَ في البَستَنَة وتصميم المناظر الطبيعيّة ليطوّروا مشروع «تخضير الجوار». وقد عبّر أيضًا جيران الجامعة الأميركيّة في بيروت وزائروها وأعضاؤها عن إحباطهم من الزحمة والضجّة ونقص المواقف قرب الجامعة. لذا ستدعم المبادرة سلسلة من الدراسات بقيادة قسم الهندسة المدنيّة والبيئيّة أطلقت عليها اسم «دراسات الازدحام في الجوار».

ماتزال المبادرة سريعة العطب في هذه السنّ الفتيّة، وثمّة تحدّيّات كثيرة تواجهها. فالتحدّي الأول، وهو تحدٍّ يتقاسمه مركز الالتزام المدنيّ والخدمة الاجتماعيّة والمركز الزراعيّ للبحث والتعليم معًا، يكمن في إيجاد الطريقة الأكثر فاعليّة لإشراك أساتذة الجامعة، فهؤلاء يستطيعون المساهمة إلى حدّ بعيد في فهم المشاكل المحليّة وفي حلّها. وإنّ أيّ نشاط خارجي لا يشرك الأساتذة يخسر مساهمتهم الفريدة ويعرضه لخطر أن يُعتَبَر «غير جدّي»، وفي حالة مبادرة حسن الجوار، أن يُعتَبَر مجرّد تمرين على العلاقات العامة. إن الطريقة الأكثر فاعليّة لإشراك الأساتذة تكمن جزئيًّا في إيجاد الحوافز الصحيحة لتشجيعهم على العمل على مسائل الجوار، وفي تحديد أجنداتهم البحثية بصورة عريضة كافية لإدماج أولويّاتِهم النظريّة والتربويّة.

أمّا التحدّي الثاني فيكمن في تمتين قاعدة تمويل مبادرة الجوار. ان جوار الجامعة في رأس بيروت مُهَدَّد بمشاكل متعدّدة، لكنّه ليس المنطقة الأكثر حرمانًا في بيروت. ومن المنطقيّ أن يودّ المموّلون دعم نشاطات الخدمة والانخراط في المناطق المحرومة. لكن هل ينبغي حرمان العمل في رأس بيروت من التمويل لأنّ المنطقة ليست محرومة بما يكفي؟ ففي الكثير من الأماكن صارت جامعات المُدُن تمثّل

دورًا حاسمًا في تنمية جوارها ومُدُنها. وتستطيع الجامعة الأميركيّة في بيروت كأداة تجديد أن تساهم بشكل استثنائيّ في وضع بيروت ما بعد الحرب في مصاف القرن الواحد والعشرين المتصل عالميًّا.
ثمة تحد كبير آخر يكمن في المشاركة، وهو تحد يشهده أيضا كل من مركز الالتزام المدنيّ والخدمة الاجتماعيّة والمركز الزراعيّ للبحث والتعليم. إنّ المقاربات التشاركيّة كانت وستكون حاسمة لنجاح مبادرة الجوار في علاقاتها داخل الجامعة وخارجها معًا. إن مبادرة الجوار ما زالت صغيرة لجهة الموظّفين العاملين فيها لقاء أجر، وتقودها مجموعة من قدامى الأساتذة والموظّفين الإداريّين في الجامعة المُقيمين في رأس بيروت، ويتمّ تعريف أيّ نشاط فيها وتنفيذه بالتعاون مع الوحدات الأكاديميّة والإداريّة في الجامعة. فمثلاً، نظّمَ مكتب الشؤون الطلاّبيّة مسحاً لتحليل كم من الوقت يمضي طلاّب الجامعة في الجوار، أو نظّمَ مكتب التسجيل مسحا آخر لاحتساب عدد سيّارات الطلاّب التي تزيد الزحمة في الجوار. وقد تعاونت حديثًا مبادرة الجوار مع مركز الالتزام المدنيّ والخدمة الاجتماعيّة في يوم عمل للطلاّب في الجوار.
وتطرح المشاركة تحدّيّات أخرى خارج الجامعة. وتقترح أدبيّات الشراكات بين الجامعة والمجتمعات أنّ المشاركة مهمّة عمليًّا لكنّها شديدة التعقيد عندما تحاول مؤسسات قويّة الإنخراطَ مع مواطنين غير منظّمين ومنزوعي القوة في أغلب الأحيان (Kromer and Kerman, 2005; Rodin, 2007). وتبنّت مبادرة الجوار مقاربة تتضمّن نوعين مختلفين من «المحادثات» مع الجيران لكنّهما يدعمان واحدهما الآخر. النوع الأول يتعلق بالتشاور المستمرّ مع مجموعة واسعة من الأفراد المعنيين، للمحافظة على «جسّ النبض». أمّا النوع الآخر فهو يتعلق بكل نشاط مُقتَرَح – تخضير الجوار، وما إلى هنالك من نشاطات – يخلق آليّاته الخاصة في المشاركة عبر مجموعات التوجيه، أو اللجان أو أيّ شكل آخر أكثر ملاءمةً (Myntti, 2009).

خامسًا: الخُلاصة

إنّ المسؤوليّة الاجتماعيّة المنظور إليها في الجامعة الأميركيّة في بيروت بعدسة الخدمة الاجتماعيّة والالتزام في المجتمع تطوّرت منذ تأسيس الجامعة كانعكاس للأوقات المتغيّرة. وفي العام 2009، كانت الجامعة الأميركيّة في بيروت والمجتمعات المحلية التي تعمل معها – بدءًا من جوارها المدينيّ وصولاً إلى المنطقة الريفيّة النائية وما بعدها – قد تأثّرت بشدّة بتيّارات العولمة وباختراق السوق. وللاستجابة لذلك، عادت لغة مؤسّسي الجامعة المبشّرين مع دعوات متجدّدة للانخراط كاستجابة أدبيّة وأخلاقيّة للعالم المتغيّر خارج الحَرَم الجامعيّ. إنّ المجال والطموحات للتغيير «التحريريّ» مفتوحَان كما في أيّ وقت مضى. وتُطرَح الأسئلة بشأن كيفيّة ملاءمة الخدمة لأجندة العدالة الاجتماعية. وثمّة رجوع صريح أيضًا إلى المنفعة المتبادلة والمعاملة بالمثل، فلم يعد تدفّق الأعمال الخيّرة أحاديًّا «منّا إليهم»، وتُطرَح مسائل جديدة مثيرة للقلق حول المساءلة والمشاركة.
لنرجع عند هذه النقطة إلى الموضوع العام، وهو المسؤوليّة الاجتماعية للجامعات ، ولنطرح السؤال الأساسيّ: لِمَ ينبغي على الجامعات في العالم العربيّ أن تأخذ الالتزام في المجتمع والخدمة الإجتماعيّة على محمل الجدّ؟ إنّ العالم العربيّ يحتاج اليوم أكثر من أيّ وقت مضى إلى «مواطنين»: كرماء النفس وأخلاقيّين ملتزمين بالخير العام الأوسع. وقد تُبطِل الجامعات الميل إلى الفردانيّة والتقدّم في المهنة

بأيّ ثمن، التي يزداد انتشارها في كلّ مكان، من خلال تزويد طلاّبها بفُرَص للخدمة.
وبالإضافة إلى ذلك، في زمن المنافسة العالميّة والتصنيفات التراتبية، بوسع الجامعات أن تبلي حسنًا بتحليل كلّ العناصر الممكنة لميزتها التفاضلية. إنّ الامتياز في البحث هو أحد هذه العناصر. كما أنّ التجذّر في مكان معيّن والاتّصال بالمجتمعات المحليّة يقدّمان ميزات فريدة أخرى. غير أنّه يجب أن تُبنى هذه العناصر عبر مقاربة متّجهة نحو الخارج تقوم بربط العلوم العالميّة والأولويّات المحليّة من خلال الخدمة والبحث المبنيّ على المجتمع المحلي.
هذه هي اذاً الحجّة الأساسيّة في ورقتنا: إنّ المسؤوليّة الاجتماعية، كما وسّعناها لتشمل الخدمة الاجتماعيّة والالتزام في المجتمع، ليست «إضافة» اختياريَّة إلى الرسالة اتربوية المركزيّة للجامعات. إنها مركزيّة للامتياز ووثوق الصلة والتجذّر الذي يمنح الميزة التفاضلية. وفضلاً عن ذلك، إنّها في العالم العربيّ مركزيّة لتنمية المواطنين.
ومع ذلك، وكما وصفنا في هذه الورقة، فالتحدّيات والتناقضات كثيرة وعميقة. إنّ الوضع الراهن يدفع بالأفراد إلى الانعزال التنافسيّ، ويجب أنّ يتمّ إبطال ذلك بالقوّة من خلال بناء المجتمع ضمن الجامعة بمقدار ما هو من خلال المنظّمات والمجموعات خارجها.
إنّ المبادرات الثلاث التي أوجزناها هنا تقدّم على فتوّتها قوّةً تعوّض بشكل هائل عن الانعزال والتنافسيّة. وتستطيع، بفضل مهمّاتها، أن تعمل كنماذج للالتزام عبر المباشرة بعمليّة تعلّميّة ارتجاعية ومتبادلة، وعبر تطوير نشاطات تعاونيّة. وإنّ مبادرات التعلّم المبني على المجتمع المحلي والمبادرات البحثية هي مجالات منطقيّة لدمج متبادل كهذا. ومن المفارقة أن تحدي المسعى نحو كتابة هذه الورقة تشاركيا، أعطى فرصة للتفكير إلى أين يجب أن تتجه الجامعة الأميركيّة في بيروت في المرحلة التالية وكيف تقوم بذلك.

المراجع

Anderson, Betty S (2008a). Voices of Protest: Arab Nationalism and the Palestinian Revolution at the American University of Beirut. *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East* 28(3), 1 - 17 (electronic version accessed 22.2.09).

Anderson, Betty S (2008b). September 1970 and the Palestinian Issue: A Case Study of Study Politicization at the American University of Beirut (AUB). *Civil Wars* 10(3), 261 - 280.

Armenian, Haroutune and Aftim Acra (1988). From Missionaries to the Endemic War: Public Health Action and Research at the American University of Beirut. *Journal of Public Health Policy* 9(2), 261 - 272.

Arnstein, S.R. (1969). A Ladder of Citizen Participation. *American Institute for Planners* 35(3), 216 - 224.

Avery, BF (1927). Interesting Facts Brought Out in the Annual Meeting of the West Hall Brotherhood. *al-Kulliyyah* 13(9), 265 - 266.

Bliss, Daniel (1993). *Letters from a New Campus*. In Douglas Rugh, Belle Dorman Rugh and Alfred Howell (Eds). Beirut: American University of Beirut.

Bliss, Frederick J (1920). *The Reminiscences of Daniel Bliss*. New York: Fleming H Revel Co.

Crawford, James S (1927). The Religious Policy of the AUB. *al-Kulliyyah* 13(7), 192-195.

Constance, Douglas (2008). The Emancipatory Question: the Next Step in the Sociology of Agrifood Systems? *Agriculture and Human Values* 25, 151-155.

Dodge, Bayard (1927). University Work and Community Life. *al-Kulliyyah* 13(9), 261-264.

Dodge, Bayard (1958). *The American University of Beirut: A Brief History of the University and the Lands Which it Serves* Beirut: Khayat's.

Dupeyrix, Alexandre (2009). Pour une recherche bling-bling? *LeMonde* 18.02.09 (web version accessed 28.02.09).

Faculty of Agriculture and Food Sciences, AUB (2009). AREC Brochure. (unpublished)

Germani, Aline (2009). Notes on the Zawtar el-Charkieh - Faculty of Health Sciences Community Partnership Project. (unpublished)

Giroux, Henry and Susan S Giroux (2006). Challenging Neoliberalism's New World Order: The Promise of Critical Pedagogy. *Cultural Studies – Critical Methodologies* 6 (1), 21-32.

Khairallah, Amin (1939). A Century of American Medicine in Syria. *Annals of Medical History* 1, 460-470.

Khalaf, Samir (2001). On Doing Much with Little Noise: Early Encounters of Protestant Missionaries in Lebanon. In E. Tejirian and R. Simon (Eds) *Altruism and Imperialism*. (pp14-45) New York: Middle East Institute: Columbia University.

Kromer, John and Lucy Kerman (2005). *West Philadelphia Initiatives: A Case Study in Urban Revitalization*. Philadelphia: Office of the President, University of Pennsylvania.

Mabsout, Mounir (2008, April). Inception Report: Moving Forward and Looking Ahead. The AUB Center for Civic Engagement and Community Service. (unpublished)

Mabsout, Mounir (2009, January). Summary Report: The First Year (March-December 2008). The AUB Center for Civic Engagement and Community Service. (unpublished)

Makdisi, Usama (1997). Reclaiming the Land of the Bible: Missionaries, Secularism and Evangelical Modernity. *American Historical Review June*, 680-713.

Munro, John M (1977). *A Mutual Concern: The Story of the American University of Beirut*. Delmar, NY: Caravan Books.

Myntti, Cynthia (2009) The AUB Neighborhood Initiative. (unpublished)

Penrose, Stephen B L (1941). *That They May Have Life: The Story of the American University of Beirut 1866-1941*. New York: The Trustees of the American University of Beirut.

Rabah, Makram (2008). *The Campus at War: Student Politics at the American University of Beirut* 1967-1975 Beirut: Dar Nelson.

Rodin, Judith (2007). *The University and Urban Revival: Out of the Ivory Tower and into the Streets*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Rugh, Douglas (1956). *The Voice of Daniel Bliss* Beirut:The American Press.

Srouji, Elias (1974). Laboratory in Community Medicine. Medicus 12 (3), 12-13.

Strathern, Marilyn, Ed. (2000). *Audit Cultures: Anthropological Studies in Accountability, Ethics and the Academy*. London: Routledge.

Tannous, Afif I (2004). *Village Roots and Beyond: Memoirs of Afif I Tannous*. Beirut: Dar Nelson.

Task Force for Reconstruction and Community Service (2007). Draft Proposal. Establishment of a Center for Community Service at AUB. (unpublished)

Zurayk, Rami (2009). AREC and community development. (unpublished)

أرشيف الجامعة الأميركية في بيروت (Jafet Library)

Howard Bliss Collection AUB President (1902-1920). (AA:2.3.2. -18.3) Report by Bayard Dodge concerning the relief groups or soup kitchens at ‘Abeih and Suk el-Gharb during World War I.

Institute of Rural Life (1944). (AA:3.5.2) Report on the Institute of Rural Life at Beirut by Bayard Dodge.

Missionaries (AA: 7.5 – 2.6) The Work of the Spears Mobile Clinics in Syria and Lebanon, 1941-45.

President’s Reports to the Board of Trustees 1975-1990.

Students 1880s-1890s (AA: 4.3.1. – 3.1) Brotherhood, YMCA. President Bayard Dodge’s Report on the Brotherhood and West Hall, 1913-1914. Brotherhood, West Hall. Brotherhood meetings, 1933-34.

Students 1930s (AA:4.3.5 - 8,10,11) Civic Welfare League publications: History, general, by-laws. Night School.